وكان المكسيكيون يسمون له الجيوش « قوتزقوائل Quetzalcoalt » وهي تصحيف « قوة ذى القوائل » اى قوة الجيوش القوائل او تصحيف « قوة على الاقتال » والاقتال جمع قتل بالكسر وهو العدو والمقاتل او تصحيف «قوة القتال » وعلى كل حال فالقوة والقتل تريان فى هذا التركيب . وكان المكسيكيون اهل قتال وطعان فلا نتعجب اذا سمعناهم يقولون عن انفسهم انهم « مقاتلون Mexicatl ومن قبائلهم « بن سليمان » وهى من قبائل البرازيل وهذا الاسم معروف الى يومنا هذا وهذه القبيلة تعيش قريباً من نهر سليماو Solimaoe وهو سليمان بلغة البرتوغاليين .

وفى المكسيك والبيرو طائفة من اسماء المواطن تبتدئ بكلمة « القلعة Accala او Acala منها موطن قريب من مدينة مكسيكو اسمه ثلاث قلاع Tlaxcala .

وعدد الاسماء الاميركية التى تمت الى قرابة عربية اولغات شرقية اكثر من ان تحصى بل يقتضى لها كتاب قائم برأسه للاتيان عليها جميعاً . ولنذكر فى الختام اللقب الذى يتلقب به ملوك البيرو وهم الا « انكاس » فاذا اعدنا لام التعريف اليها ولفظنا الجيم لفظاً مصرياً واعتبرنا السين شيناً فى الاصل قلنا « النجاش تخفيف النجاشي» وهو لقب يتلقب به الى اليوم كل من ملك الحبشة ومنه منيلك النجاشى الشهير المعروف ايضاً بالنجاش النجاشى اى ملك الملوك.

وبهذا القدر كفاية للقنوع . سامرا مصطفى ابراهيم

## حالة العراق التجارية

Coup d'œil général sur le commerce en Mésopotamie.

١ - التجارة روح العمران

التجارة روح العمران ، واساس التقدم والرقى ، وحيث لا توجد تجارة لا يوجد تمدن ، لا بل قل لا يوجد عمران : نعم ! ان التجارة عنوان تقدم الامم اذ باتساعها تظهر مقدرة الاقوام، وحياة الشعوب ، وثباتها فى معترك الحياة ، والى توسيعها ترمي كل الامم المتمدنة وماذلك النزاع والخصام القائمان على قدم

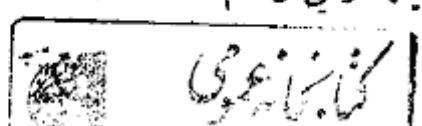

وساق بين الشعوب الاتيجة تزاحم الدول على اتساع متاجرها ، وتقدم صناعاتها ، وترويج بضائعها ، وكل امة كانت تجارتها ضعيفة السير ، منهوكة القوى ، قليلة الانتشار ، فاعلم انها تسير الى مدارج الفناء . وعلى هذه القاعدة الطبيعية ترى ان اكثر الامم تجارة اكثرهن قوة ، واعظمهن سطوة ، واشدهن صولة ، وارفعهن منزلة . الا ترى بريطانية العظمى تلك المملكة الواسعة الارجاء كيف نالت هذا الحول والطول وتيك المنزلة الرفيعة ، من الممالك الراقية تجارتها الخطيرة الممتدة الى ربوع مترامية الاطراف ، متباعدة الاكناف ، والدول اليوم وقبل اليوم لم تدع وسيلة ترقى بها تجارتها الا وتذرعت بها فهي تنشئ الاساطيل السابحة في الماء والمناطيد الطائرة في الهواء والخارقة عنان السماء وتجيش الجيوش وتقيم المعاقل والحصون لحماية مصالحها التجارية ، والذود عن مرافقها الاقتصادية .

هذا وان اكثر الحروب التي نشبت بين الامم في العصور الغابرة والحاضرة كانت بسائق تجاري اقتصادي ولم يكن سياسياً دينياً الا دونه ودليلنا على ذلك تلك الحرب الضروس التي نشبت بين انكلترة وفرنسة والصين سنة ١٩٠٠م اذ كانت الصين حتى ذلك التاريخ موصدة ابواب التجارة بوجوه الاوربيين ومحددة مناطق تجارة اوربا في موان معدودة وكانت اوربا حينئذٍ خاضعة لارادة ابن السماء ، لاشتغالها بفض المشكلات التي أولدتها سياسة نابليون فاختلت الموازنة الدولية ، فلما ساد السلام في الغرب قامت اوربا لذلك قومة رجل واحد تطالب الصين باطلاق الحرية لنشر تجارة الاجانب في ديارها ، وكان اكثر دول اوربا مطالبة بذلك انكلترة وفرنسه فابت الصين الخضوع لتلك المطالبة فنشبت نيران الحرب وانتصر الفرنسويون والانكليز على الصينيين بعدة معارك دموية ودخلوا بكين عاصمتهم ، وختمت الحرب بخذلان الصين واستسلامها لمطالب الغرب المشروعة فكانت النتيجة ان انتشرت تجارة العالم الغربي في كل اصقاع المملكة الصينية .

الا وان انكلترة لا تقصد من استعمار الهند ومصر والترانسفال وكندا وغيرها من المستعمرات الشاسعة الا انتشار تجارتها وترويج مصنوعاتها ، والاستئثار بمنابع الثروة ، وقس عليها بقية الدول ، واذا سمعت ان سورية منطقة نفوذ

فرنسة والعراق دائرة نفوذ انكلترة وبلاد الاناضول الساحلية منطقة نفوذ المانية والولايات الشرقية منطقة نفوذ روسية فافهم ان تجارة سورية فرنسوية والعراق انكليزية ، والاناضول الغربي المانية ، والاناضول الشرقي روسية ومايقال عن هذه الاقطار يقال عن بقية المواطن، ترى فرنسة تخطب ود الدولة العلية ، والمانيا تستجلب رضاها ، وانكلترة تدعي صداقتها ، والنمسة تجاهر بمحبتها لها ، كل ذلك لسياسة تجارية اكثرمنها استعمارية ، ولذلك تجد فرنسة تغضب حينما ترانا نجهز جيشنا بمدافع المانية ونبتاع من معاملها كل مايخص الجيش، والتنافس بين الدول في الاستيلاء على زمام الامور التجارية ، واحتجان مرافق البلاد الاقتصادية قد اصبح اليوم شديداً وهو من الخطورة بمكان .

٢ تجارة العراق في القرون الخالية

كانت ديار العراق مهبط الامم الكبيرة ، ومنبع العلوم الغزيرة ، في سالف القرون الغابرة ، والعصور الداثرة ، ففي العراق نشأ البابليون بناة القصور الشاهقة ، ومشيدو الصروح السامقة ، وفي العراق نبغ الكلدان اصحاب الحدائق المعلقة ، والجنان ذوات الاشجار الباسقة ، وفي العراق ضخمت دولة الفرس ، وفي العراق تأسست دولة العرب الفخيمة ذات الحضارة الزاهرة . وفيه كان تحت ظل دولة العرب ساق الاقوام من عرب وفرس وسريان وكلدان وصابئة الى العلوم المتنوعة ، فنبغ منهم حملة الاقلام الرائعة ، وظهر بينهم اعظم الرجال واشهر الملوك ، وقام فيهم اولو العزائم وخيرة اهل السلوك كيف لا وآثارهم الفخيمة ، وبقاياهم الخطيرة تنطق بما كان لاولئك الاقوام من العظمة والجلال ولسان حالهم يقول :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وكانت هذه البلاد سواء في العصر البابلي او الفارسي او العباسي ذات تجارة خطيرة ممتدة الى اقطار قاصية وقد بلغت منتهى الرقي في العصر العباسي الزاهر فان صنائع الفرس القديمة بعثت من قبرها ابان التقدم العربي في العراق لما كان في نفوس العباسيين من محبتهم تقليد اكاسرة الفرس في صنائعهم وحضارتهم، وممن ساعد على احياء صنائع الفرس القديمة الوزراء الفارسيون كآل برمك

وغيرهم الذين كانت لهم اليد الطولى فى تنشيط اهل العلم والادب وكان التجار فى مدن العراق الكبرى من ذوى الثروة الطائلة حتى ان من بلغت ثروتهم الملايين كانوا يعدون بالالوف منهم آل الجصاص باعة الجوهرات الثمينة وكان لهؤلاء شهرة واسعة مثل شهرة ركفلر وروتشيلد وسائر مصارف ( بنوكة ) العالم المتمدن اليوم وقد صادرهم الخليفة العباسى المقتدر بالله — لما اختفى عندهم المعز فاخذ منهم نقوداً قال المؤرخون عنها انها ١٦ مليون دينار واما باعة الفرش والاثاث والرياش الفاخرة والآنية والرقيق فقد اشتهر منهم جم غفير من اهل اليسار واكثر غناهم من تجارة البحر ، وكانت سفنهم تعد بالمئات تحمل عليها التجارة الى انحاء العالم. ذكر ابن الاثير واحداً منهم اسمه الشريف عمر كان دخله السنوى ٢،٥٠٠،٠٠٠ درهم وبلغت ثروة احد تجار المراكب فى البصرة ٢٠ مليون دينار وكان احمد بن عمار يخرج من الصدقة كل يوم مائة دينار وقيل كان دخله كل يوم الف دينار ، وقيل ان جوهرياً بالكرخ فى بغداد ساومه يحيى البرمكى على سفط من الجوهر يساوى ٧٠٠،٠٠٠ درهم فلم يبعه وهو جزء مما فى حانوته فما قولك بسائر مافيه فلاريب ان ماكان فيه يضائل الحاسب فى عده .

وكان الناس فى العصر العباسى اربع طبقات فصلها الفضل بن يحيى بقوله: الناس اربع طبقات: ملوك قدمهم الاستحقاق، ووزراء فضلتهم الفطنة والرأى، وعلية انهضهم اليسار، واواسط الحقهم بهم التأدب. والناس بعدهم زبد جفاء، وسيل غثاء ، لكع ولكاع، وربيطة اتضاع، هم احدهم طعمه ونومه.

فترى مما تقدم ان ارباب الثراء واليسار كانوا يعدون بالالوف والثراء تابع بالطبع لانتشار التجارة وكثرة المصانع ووفرة الخيرات والبركات ولا ريب فان التجارة العراقية كانت قد بلغت اوج المعالى فكان العراق يركب مركبه من ميناء البصرة — ميناء العراق الوحيد — من وداً بمصنوعات بلاده وخيراتها فيطوف البلاد فى الطول والعرض وهو يعرض على تجارها سلعه الثمينة يستبدلها بما ينفق فى بلاده وكان يحمل فى اكثر الاوقات اليواقيت والالماس من بلاد الهند واللؤلؤ من البحرين والديباج والانماط من تستر والجلود المدبوغة من الحبشة والعود والمسك والكافور من ديار الصين وكان لتجارتهم البرية قوافل تنقلها من الشرق

والغرب والشمال والجنوب ويبيعونها في اسواق بغداد وغيرها من المدن الاسلامية وكانوا يحملون اليها الثياب الثمينة من الرى والابريسم ومطارف الخز وأطباق الخشب من طبرستان ونيسابور وطراز الوشى والثياب المنسوجة من الشعر التى يصنع منها ثياب متقالية يلبسها الخليفة ورجال الدولة والكلل المرتفعة والستور المعلمة من « قسا » الى غير ذلك من ثمين البضائع ونفيس الصنائع .

وصفوة القول ان العرب في الاسفار البحرية كانوا ملوك البحار سفنهم التجارية البحر الابيض الى كل شواطئه والبحر الاحمر الى آخره والبحر المحيط الى جزيرة رامنى ( سومطرة ) فزنجبار من جهة الغرب والى قاليقوط (كالكتة ) وجزائر زابج ( جاوة ) وجزر الصين من جهة الشرق ومن الجنوب الى مدغسكر ( قنبلو ) فلم يبق في شواطئ بحور العالم مرفأ معروف الا ولهم به علاقة تجارية . وفيه القت سفنهم مراسيها . وقد اكتشفوا في أسفارهم طرقاً تجارية في البحر لم يسبقهم اليها احد واما اسفارهم البرية فقد اخترقت تجارتهم وقوافلهم بلاد الهند وتركستان والتبت حتى هبطت الصين من الشرق واوغلت في افريقة الى خط الاستواء من جهة الغرب وامتدت الى زنجبار من الجنوب وحتى شواطئ بحر الخزر من الشمال وكانت البصرة مركز تجارة الشرق بحراً وبغداد مركز تجارته براً ولم يقف العرب في الاسفار التجارية عند هذا الحد ولا اكتفوا بالظواهر بل شفعوها بالعلم فالفوا في الامور التجارية كتباً مفيدة وهي تشابه كثيراً في مواضيعها ما نسميه اليوم بكتب « الاقتصاد السياسي » اذ ان اكثر هذه الكتب تعرضت لابحاث اقتصادية خطيرة كالبحث في معنى النقود والسلع والمال الصامت والعروض وتحقيق اثمان الاشياء مما لا تقل قيمته عما جاء في الاسفار الاقتصادية الضخمة في عصرنا الحاضر ونخص بالذكر من تلك الكتب كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ ابى الفضل جعفر بن على الدمشقى من اهل القرن الخامس للهجرة وهذا مايدلك على ما وصل اليه العرب من الحضارة ونالوا من الرقى في علم التجارة .

٣ـ الصناعة والزراعة في العصر العباسي

قلنا ان انتشار التجارة وسعتها تابعان لرقى الصناعة وكثرة حاصلات البلاد

الزراعية ، وهنا نذكر طرفاً مما كان في بغداد من المصانع كما نأتي بنبذة وجيزة على ما كانت تستغله الحكومة العباسية من زراعة العراق فنقول : كان العراق من اعظم البلاد الصناعية في العالم في ايام زهو العباسيين ، وكان في بغداد معامل للزجاج يعمل فيها زجاج مرصع باليواقيت والصدف ، ومصانع لعمل الانسجة والقشة الحرير والصوف الرقيقة كالكشمير وفوط الحرير وقماش الدمقس ، وكان العرب اتقنوا صناعة السجاد الثمين الفاخر الذي كان يزين بابدع التصاوير كرسوم النباتات والاسود والفيلة . وكان في بغداد عدا ذلك مصانع لعمل الورق ( ١ ) وكان عمل الورق معروفاً منذ زمن سابق لعهد التاريخ عند الصينيين فاخذه العرب عنهم ودخلت تلك الصناعة النفيسة اوربة في القرن الحادي عشر للميلاد بطريق الاندلس حينما كانت تلك البلاد زاهية بالعلوم زاهرة بالاداب ، واما النقش على الاحجار والتصوير فقد كان معروفاً عند الفرس القدماء فتعلمه منهم العرب ، وانتشر فن النقش على الاحجار انتشاراً رائعاً وكذلك قل عن صناعة الفسيفساء وهو التصوير بقطع الاحجار الدقيقة المتناسبة المختلفة الالوان بتوفيقها مع بعضها حتى يتركب من مجموعها صورة من الصور . وكانوا يشتغلون بانواع كثيرة من الصنائع ايضاً كانواع الحلى من الذهب والفضة وغير ذلك من انواع النقوش والزينة والمعادن والعاج وكان لهم شهرة سامية بنحت الحجارة الكريمة وهذه الصناعة اخذوها عن الفرس والمجوس .

( ١ ) قيل ان الفضل بن يحيى البرمكي اول من اشار على العباسيين باتخاذ الورق وصناعته حينما ضاقت الرقوق والجلود عن المكاتبات والمراسلات والسجلات فلم تف بحاجيات التمدن العربي . والارجح وهو ما أجمع عليه كبار المؤرخين ان الصينيين قبل الميلاد كانوا بارعين في صناعة الورق وكانت هذه الصناعة منتشرة في بلادهم . فلما فتح العرب سمرقند اخذوها عنهم ولكنهم لم يجتهدوا في تعاطيها الا في ايام زهو العباسيين فانشأوا له معامل في بغداد والشام وغيرها من عواصم العرب وكان الاسبان لقربهم من ديار العرب واحتكاكهم بهم اول من استعمل الكاغد فانتقلت صناعته الى اوربة بطريق اسبانية ، ولا تزال المخطوطات العربية القديمة على الكاغد العربي موجودة في دور الكتب الكبرى في عواصم العالم المتمدن تشهد بحضارة العرب ذات الآثار الباقية .

واما الزراعة وتقدمها ووفرة بركاتها فحدث عنها ولا حرج ، فبغداد وما بين دجلة والفرات اخصب قطعة في العالم ، ويغنيك عن البيان شهرة دجلة والفرات اللذين هما طريقان مائيان عظيمان ينصبان الى بغداد قادمان من الشمال يأتيها الاول رأساً والثاني بما يوصله بدجلة من الانهر والسواعد والجداول. ودجلة تتصل بالبصرة اتصالاً لا ينقطع ثم تتصل البصرة بخليج فارس وهذا بخليج عمان الى باقي البحار الكبيرة. وانت تعلم شأن هذه البقعة وخصبها وجودة مناخها ومن هذه البقعة تدفقت ينابيع الثروة على العباسيين ويكفينا ما ذكره ابن خلدون عن جباية السواد - في بعض سنوات كانت في عهده قال جباية السواد ٢٧،٨٠٠،٠٠٠ درهم ومن الحلل النجرانية ٢٠٠ ومن طين الختم ٢٤٠ رطلاً وهذه الارقام قليلة بالنسبة الى ماجاء في قائمة قدامة بن جعفر فقد جاء فيها ان جباية السواد في عهد المعتصم بلغت ١١٤،٤٥٧،٦٥٠ درهم وكانت جباية السواد على قباذ بن فيروز الفارسي بلغت الف الف وخمسين الف الف درهم مثاقيل . وهذا مايدلك على ماكان عليه العراق من العمران في سالف الزمن ، ولا عجب اذا قال المؤرخون : كانت جباية الحكومة العباسية من تاجر واحد من تجار البصرة ١٠،٠٠٠،٠٠٠ دينار في العالم، فاين تجارة اليوم وزراعته من تجارة أمس وزراعته ،واين تلك الاراضي المزروعة وخراجها واراضي هذا العهد وخراجه؟ اعاد الله كل شيء الى سابق مجده ، وسامق عزه ، بمنه وكرمه .

ابرهيم حلمي

## سعدون باشا السعدون

### ١ نسبه

سعدون باشا ( ١ ) هو ابن شيبخ المتفق منصور باشا ابن راشد بن ثامر ابن الشيبخ ( ٢ ) سعدون ( ٣ ) المشتهرة به تلك

( ١ ) لاالقب من هؤلاء الامرآء يلقب الباشا الامن لقبته بهالدولة العثمانية .

( ٢ ) لااسمى بعض هؤلاء الامرآء بالشيوخ الامن عرفته منهم متولياً المشيخة فعلاً وباسم من الدولة العلية .

( ٣ ) قتل في وقعة جرت لهم مع عساكر الحكومة العثمانية حينما كان نازلاً في بابه